

المشمرون الفائزون _ العشر الأواخر اغتتموها



يا شهر رمضان ترفقه عسى منقطع من ركب المقبولين يلحق ، عسى أسير الأوزار يُطلق ، عسى من استوجب النار يُعتق من النار ، وذلك _ ورب الكعبة _ هو الفوز المحقق والنجاح الأبدي والنجاة التي ما بعدها نجاة، وهي النتيجة التي عمل لها الصالحون ، وذابت في رغبة الوصول إليها قلوب المشتاقين، وانكسرت في الحرمان منها نفوس النادمين ، فقد قال سبحانه: (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أجوركم يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) (آل عمران 185)

مهلاً مهلاً رمضان، ما أعجلك في ارتحالك ، هلاً منحتنا فرصة العشر الأواخر، ليتدارك فيها المقصرون تقصيرهم، ويزيد فيها المُشمرون تشميرهم؟! « فالغبين كل الغبن أن يخطئ العبد توفيق الله له في شهر التوفيق ، وأن يحرم معيته الخاصة ، التي يمنحها لعباده الصالحين ، والحرمان كل الحرمان أن لا يراه مولاه أهلاً لنيل شرف القبول ، وأن يمر عليه رمضان وهو يراوح مكانه دون أن ينخرط بصدق في مدرسة العبودية ، ودون أن ينل من عجائبها ، ويرزق من أنوارها ، ويقطف باقات حدائقها الفيحاء ، ويخدع نفسه مع تقصيره وتفريطه ، بحجة أنه يحسن الظن بربه من دون أن يقدم الثمن، وقال سفيان الثوري رحمه الله: "أحب إليّ إذا دخلَ العشرُ الأواخرُ أن يتَهَجَّدَ بالليل، ويجتهدَ فيه، وينهضَ أهله وولده إلى الصلاة إن أطاقوا ذلك" ابن رجب، لطائف المعارف: ص342

ليلة القدر "التمسوها"

إن الله تعالى يُقدِّر فيها الأزاق والآجال، وحوادث العالم كلها، فيكتب فيها الأحياء والأموات، والناجون والهالكون، والسعداء والأشقياء، والعزیز والذليل، وكل ما أراده الله تعالى في تلك السنة، ثم يدفع ذلك إلى الملائكة لتمثله، كما قال تعالى: "فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ". وهو التقدير السنوي، والتقدير الخاص، أما التقدير العام فهو متقدم على خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة كما صحت بقوله الأحاديث.

وليلة القدر في العشر الأواخر من شهر رمضان، وأنها تنتقل في ليالي العشر، فمن قام ليالي العشر كلها وأحيها بالعبادة أصاب ليلة القدر يقيناً. إن العبادة فيها خير من عبادة ألف شهر و الملائكة تنزل فيها وهم لا ينزلون إلا بالخير والبركة والرحمة والعتق من النار. من قامها غفر له ما تقدم من ذنبه، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم " من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه متفق عليه. وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن المحروم من حرم أجر ليلة القدر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَتَاكُمْ رَمَضَانُ شَهْرٌ مَبَارَكٌ فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تَفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَتُعَلَّقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَتُعَلَّقُ فِيهِ مَرَدَّةُ الشَّيَاطِينِ، لِلَّهِ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حَرَّمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حَرَّمَ" رواه أحمد والنسائي وصححه الألباني وقيام ليلة القدر من أسباب مغفرة الذنوب بشرطين: أن يكون إيماناً وتصديقاً بوعده الله بالثواب عليه، واحتساباً وإخلاصاً لله تعالى لا بقصد الرياء، وإن السنة لمن أدرك ليلة القدر الإكثار من دعاء: (اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني)، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، أ رأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر، ما أقول فيها؟ قال: قولي: "اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني" (رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني)

هيا..هيا..هيا

هيا نخرج الدنيا من قلوبنا في هذه العشر ونجعل شعارنا بصدق " لن يسبقني إلى الله أحد" إنها أيام و ليالي قليلة و لكن أثرها و أجرها عند رب العالمين عظيمة فمن حرم خيرها فقد حرم ، بين الحافظ ابن رجب رحمه الله أن الاجتهاد في العشر الأواخر يكون في لياليها ونهارها، فقال: " وقد قال الشعبي ليلة القدر: ليلها كنهارها. وقال الشافعي في القديم: أستحب أن يكون اجتهاده في نهارها كاجتهاده في لياليها. وهذا يقتضي استحباب الاجتهاد في جميع زمان العشر الأواخر، ليلته ونهاره، والله أعلم" لطائف المعارف: ص368.

هيا نعوض غلق المساجد عن الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان بالاجتهاد في بيوتنا مع أولادنا، وإحياء الليل بالصلاة وتلاوة القرآن والذكر والدعاء والاستغفار وغيرها من أوجه الطاعة؛ اتباعاً لهدى النبي صلى الله عليه وسلم، وطمعاً في الأجر والثواب، وتحرياً وطلباً لأجر ليلة القدر التي أخفاها الله جل جلاله عنا؛ ليحصل الاجتهاد في التماسها. فليجتهد كل مسلم في إحياء ليالي العشر الأواخر من رمضان، فمن استطاع أن يقوم الليل كله، فهذا أعلى الدرجات، وكلّ يجتهد قدر استطاعته، فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها، والأجر على قدر الجهد والمشقة. وما كان أكثر فعلاً واجتهاداً؛ كان أكثر فضلاً وأجرأ. والمُعَوَّل على القبول، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم.

هيا نستمتع بلذة المناجاة وأناة السحر ، ونستنشق عبيرها الأخاذ المنعش للنفس والموقظ للقلب ، كما قال ابن القيم: (لو استنشقت ريح الأسحار ، لاستفاق قلبك المخمور) فيصل العبد إلى اليقين وتمثله عملياً بأماراته التي شرحها ابن القيم كذلك : "من علاماته (أي اليقين) الالتفات إلى الله في كل نازلة ، والرجوع إليه في كل أمر ، والاستعانة به في كل حال ، وإرادة وجهه بكل حركة وسكون" إلى الحد الذي يجعله بالتقوى التي اكتسبها لو أقسم على الله لأبره ، وينال استجابة الدعاء ، كلما توجه إلى مولاه وفر وسائل الاستجابة ونالها واستشعرها ، كما عبر عنها الرجل الصالح ثابت البناني بقوله: (واني أعلم حين يستجيب لي ، فتعجبوا من قوله وقالوا : تعلم حين يستجيب لك ربك؟ قال : نعم ، قالوا : كيف تعلم ذلك؟ قال : إذا وجل قلبي واقشعر جلدي وفاضت عيناى وفتح لي الدعاء ، فثم أعلم أن قد أستجيب لي)..

أيها الفائزون بمرتبة القبول

التوفيق أن ينادي على العبد الذي تدرج بنجاح في مراتب الصعود الإيماني، حتى وصل إلى منصة التتويج ، وهي مرتبة القبول في آخر ليلة من ليالي الشهر ، بأنه من أهل التهنتة ، كما روي عن الإمام علي رضي الله عنه أنه كان ينادي في آخر ليلة من شهر رمضان : يا ليت شعري من هذا المقبول فنهنيه؟ ومن هذا المحروم فنعزيه؟.وينال الفرحة الثانية وهي فرحة التوفيق والقبول ، كما جاء في الحديث: (للصائم فرحتان : فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه) (رواه البخاري).وليعاهد ربه سبحانه وتعالى بعد نجاحه في امتحان العبودية هذا ، وتتويجه مع المتوجين ، بأن يري ربه منه ما يسره دوما بعد انقضاء الشهر ، إلى أن يوفق من جديد لبلوغ الشهر العام المقبل — إن كان لعمره بقية — ليعاود الرحلة من جديد في مراتب الصعود في مدارج القبول هذه ، لأنه يتيقن بمتعة الرحلة وجمال الرفقة ولذة الزاد وحلاوة التوفيق وطعم التتويج ،

جعلنا وإياكم من المتوجين بالقبول المبشرين بالوصول.